كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ،
رئيس جامعة القدّيس يوسف،
في حَفل إطلاق كرسيّ رياض الصلح،
في مدرّج غولبكيان، حَرَم العلوم السياسيّة،
يوم الاثنين، الواقع فيه ٣٠ آذار ٢٠١٥.

لن أردّد كلمات الترحيب فإنّما أنتم في جامعتكم، جامعة القدّيس يوسف على الرَّحب والسعة بمقدار ما أنّ هذه الجامعة نذرت نفسها جامعةً لكلّ الوطن وهي تحقّق ذلك بالرغم من الصعوبات والخضّات السياسيّة والأمنية وارتدادتها على داخل الجامعة. والجامعة هي تاريخ إذ تأسّست في السنة ١٨٧٥ وتحتفل اليوم بسنيها المئة والأربعين بتذكّر الكثير من خرّيجيها الذين عملوا في الشأن العام وخصوصًا منهم دولة الرئيس رياض الصلح.

١. فدفاتر المعهد الثانوي لجامعة القدّيس يوسف تقول إنّ الرئيس رياض الصلح، مثله مثل حكمت ونهاد ووديع الصلح، تابع دروسه في اليسوعيّة كما تُسمّى ما بين السنوات ١٩٠٧ والـ ١٩١٠ وهو بالتالي شرب من معين هذه الدار، على أمتار من هذه القاعة، علمًا ومعرفةً ولغةً أجنبيّة وأخلاقًا وثقافة، تآخت مع ما وُلد عليه واكتسبه في دار عائلة آل الصلح من مكارمٍ وحكمةٍ ودين وعودٍ صلبٍ واندمجت مع ذكاء حادّ وقدرة على التمييز وحكم صائب ورؤية بعيدة النظر. إنّه رياض الصلح الذي لا نعطي اسمه اليوم لهذه الكرسيّ، كرسيّ الرئيس رياض الصلح، بقدر ما هو يعطي اسمه لهذه الكرسيّ المؤيَّدة من مؤسّسة الوليد بن طلال الإنسانيّة ومن رئيستها صاحبة المعالي، السيّدة ليلى الصلح حمادة، فنحيّيك اليوم كخرّيجة من معهد الآداب الشرقيّة في الجامعة اليسوعيّة. رياض الصلح هو يعطي اسمه بفضل جهادٍ ضمن رويّة، وعلم حقوق اكتسبه في مكتب اسطنبول السلطاني وهو لكان انتسب إلى مدرسة الحقوق الفرنسيّة لو أنّها كانت قد أُنشئت قبل السنة ١٩١٣، وهو يعطي اسمه لأنّه استطاع أن يعمل في الصحافة وأن يبرع في السياسة، وأن يفتح بابه أمام الناس ليخدمهم لا ليستغلّهم. ويُقال فيه الكثير ومنه أنّه كان "محكمٌ الردّ بارع في الجدال والمحاذبة حتّى طار صيته في القدرة

على الاقناع وعلى الوصول في التفاوض إن لم يكن إلى المنشود فألى أحسن الممكن". ونعرف عنه أنّه كان ذا صوت جيّد يسعفه في الخطابة، وقادرًا متمكّنًا في السياسة حتّى قيل فيه "أنّه ذو ومضات فكرٍ عجيبة يرى أنّ لكلّ مأزقٍ مخرجًا ولكلّ معضلة حلاًّ" وهذا ما نسمّيه اليوم التفاؤل في السياسة في حين أنّ السياسة اليوم أصبحت المرادف للتشاؤم وللأبواب المسدودة.

٢. ننطلق من هذه الصفات إلى بعض الثوابت في ممارسة رياض الصلح للسياسة وفي فكره الوطنّي. من هذه **الثوابت،** تقديمه الوفاق الوطني والأساسيّ على أي داعم آخر معتبرًا الوفاق أساسًا متينًا في مواجهة الأخطار والأزمات التي لم تكن قليلة في ذلك الوقت وهي حتّى اليوم ليست بقليلة وكأنّه كُتب لهذه البلاد أن تتداركها الأخطار من الداخل والخارج. و**ثابتة ثانية** أنّه كان معروفًا عنه احترامه للخصم السياسي ونسج أفضل العلاقات معه وهذا درسٌ تربويّ بامتياز للعاملين اليوم في حقل السياسة الشريفة. و**ثابتة ثالثة** أنّه كان يعرف إنّ الطائفيّة السياسيّة هي تركة ثقيلة فقاومها بتعزيز عوامل الوحدة وبما هو مشترك بين الطوائف وتقبّل التسوية بينها وممارسة الحُكم في إطار هذه التسوية. وهو كان يعرف كم أنّ للسياسة قدرة على توظيف الطائفيّة لمصلحتها إلى حدّ الاستغلال ونشر الفساد وإدخال الخارج إلى الداخل للعب بموازين القوى والتمييز المجحف بين الناس. وهذه الأمور كلّها دفعته إلى إلحاظ إلغاء الطائفيّة في بيان حكومته الأولى في وقتٍ كانت الديموغرافيا لصالح المسيحيّين على العموم. وهو رأى أنّ إلغاء الطائفيّة لن يكون بالسياسة وألاعيبها بل بائتلاف وطني حول مفهوم متقدّم للوطن من ختلف القوى السياسيّة وكذلك بتعزيز ثقافة التعارُف والتقارُب وبإنماء متوازن، حيث لا تزال هذه الأمور حيّة كأنّها كتبت البارحة على جدار الفايسبوك. و**ثابتة رابعة** لا بدّ من الإشارة إليها أنّ عهد الشيخ بشارة الخوري والأستاذ رياض بيك الصلح كان عهد بناء وتعزيز الدولة عبر المؤسّسات الوطنيّة في إدارة وقضاء وجيش وقوى أمنٍ وكان عهد عمران عبر هذه المؤسّسات والمؤسّسات الخاصّة "فكان العمران عمران دولة" كما قال أحد المؤرّخين، بالرغم من نهاية ذلك العهد نهاية مأساويّة نتيجة التجاوزات وانكفاء دولة القانون. إلاّ أنّ المراقب

وقارئ التاريخ لا يستطيع أن ينسى أنّ حكومَتَي رياض الصلح وعهد بشارة الخوري هما اللذان أسّسا الدولة، وأنّ بشارة الخوري ورياض الصلح وسليم تقلا وضعا أسس وزارة الخارجيّة وأن بشارة الخوري ورياض الصلح وفؤاد شهاب كانا وراء تكوين الجيش اللبناني. ولا ننسى أيضًا أنّ ما نستفيد منه اليوم من دستور لبناني وإن تغيّر بعض الشيء ومن بنية اقتصاديّة ومصرفيّة وتربويّة وقوانين وتشريعات في مختلف المجالات جاء عن طريق أصحاب الرؤية والرويّة. ولا أنسى ثابتة أخيرة هي أم الثوابت، تلك التي تُرجمت بعبارة الميثاق الوطني الذي يعني أنّ مصلحة لبنان واللبنانيّن هي قبل أيّ مصلحة أخرى وأنّ اللبنانيّين أمام المصاعب والمخاطر عليهم أن يستثمروا في هذا المبدأ وهذه العقيدة. وأنّ عليهم أن يردّوا دومًا بإحكام على التحديّات السياسيّة الداخليّة والخارجيّة ودومًا باسم المصلحة اللبنانيّة. الميثاق الوطني هو الترجمة الواقعيّة لإرادة اللبنانيّن في بناء الدولة اللبنانيّة التي يقدّمونها لأنفسهم مساحة واسعة للعيش والبناء المشترك. وقيام الوطن إلى جانب قيام الدولة كان أفق رياض الصلح. ونحن اليوم مؤتمنون للعمل من أجل تعزيز الدولة وبناء الوطن كعقدٍ أخلاقيّ وثقافيّ وسياسيّ بين جميع اللبنانيّين.

٣. واليوم ونحن نطلق في جامعتنا وفي كليّة الحقوق والعلوم السياسيّة بالذات هذه الكرسيّ التي تحمل إسم رياض الصلح، فلأنّ رياض الصلح إلى جانب الرعيل الأوّل من رجال الدولة اللبنانيّة ومنهم بشارة الخوري وفؤاد شهاب وسليم تقلا وصبري حمادة ومجيد أرسلان، رياض الصلح هو تراث تربويّ وطني ونهضوي نلجأ إليه وإلى أترابه اليوم مستوحين من نضالاتهم ومستنيرين بإرشاداتهم للتفكير ولإعادة كتابة الخطاب الوطني لتعزيز الدولة اللبنانيّة وموجّهين بروح الوطنيّة التي لا بدّ من تقوية نسيجها وثقافتها. فالدولة التي تفتقد إلى الروح الوطنيّة هي مثل الجسم الذي لا روح فيه ولا حياة، ونحن في الجامعة قرّرنا هذه السنة أن تكون سنة الديموقراطيّة والتدرّب على المواطنيّة فحبّذا لو نعود إلى هذه الثوابت التي عَرَضتُ لها باختصار والتي تكون المنطلق والقاعدة للتفكير المشترك في المفاهيم والحوار حول كلّ القضايا واحترام

الخصم السياسيّ وبناء المواطن فينا وفي عقولنا وفي قلوبنا. إنّ كليّة الحقوق والعلوم السياسيّة سوف تكون الإطار الصالح، بما أنّ هذه الكرسيّ تسكن فيها وإن كانت مرتبطة بشخص رئيس الجامعة، سوف تكون الكليّة الإطار والعامل الناشط لكي تُترَجِم أفكار وثوابت رياض الصلح إلى دراسات بحثيّة لها نتاجها فتستفيد منها الجامعة أوّلاً والمجتمع السياسي والقانون التربويّ والاقتصادي اللبناني. وإنّي على ثقة أنّ الهيئة العلميّة لهذه الكرسيّ التي سوف ترافق أعمالها والتي هي في طور التشكّل سوف تقوم بالواجب لكي يأتي جدول نشاطاتها مثمرًا ومفيدًا للجامعة بشبيبها وشبابها وللبنان الذي يبقى مجتمعنا وقضيّتنا. إنّها مغامرة، ووحدهم المغامرون مثل رياض الصلح يستطيعون خوض ثمارها دومًا من أجل مصلحة لبنان واللبنانيّين ليستمرّ هذا الوطن قادرًا على صنع مستقبله بالكثير من الوعي والحكمة والرويّة وروح الجهاد والتفاؤل ليبقى لبنان حرًّا سيّدًا مستقّلاً من ١٠٤٥٢ كيلومترًا مربّعًا فيغدو كما أراده الرئيس رياض، مساحةً للتفاؤل وبناء الرأسمال البشري، بلد التنوّع بدل الأحاديّة والنور بدل الظلمة، بلد دستور الميثاق والعيش المشترك.

عاشت كرسيّ رياض الصلح،

عاشت جامعة القدّيس يوسف،

عاش لبنان.